الامتدادات القرآنية
في اقتباسات الإمام العسكري عليه السلام
في ضوء حديثه عن ولادة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

Quranic Extensions in Imam Al-Askari's (PBUH) Quotes in Light of his Hadith about the Birth of the Awaited Imam (May Allah hasten his reappearance)

أ.د. ابتسام السيد عبد الكريم المدني

جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية

Prof.Dr. Ibtesam Al-Sayed Abdul Kareem Al-Madani

College of Basic Education, University of Kufa

الباحث: السيد حيدر محمود زوين

جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية

The researcher: Haider Mahmood Zwain

College of Basic Education, University of Kufa

الامتدادات القرآنية في اقتباسات الإمام العسكري عليه السلام في ضوء حديثه عن ولادة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

الملخص:

إنّ المقصود بالامتدادات القرآنيّة في اقتباسات الإمام العسكريّ تعني أنّ الاقتباس الّذي يرد في خطاب الإمام عليه السلام له امتدادات مقصودة في النّص القرآنيّ الّذي اقتبس منه، بل له إيحاءات مقصودة نجدها في أهداف السّورة التي اقتبس منها الإمام عليه السلام، وقد لمستُ هذه الظاهرة في أبحاث سابقة مما سوّغ للبحث أن يفترض أنّ اقتباسات الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام في خطابه عن الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف لها امتدادات في النّص الّذي اقتبس منه، وربما يكون لها امتدادات في عموم السّورة وفي أهدافها، وقد عمل البحث على التحقق من صحة هذه الفرضية وأثبتها.

اقتضت منهجية البحث أن يكون في مقدمة تمهيدية وثلاثة مباحث: المبحث الأول: يتناول الاقتباس الأول الذي كان تحت عنوان: «الامتدادات القرآنية في خطاب الإمام العسكري عند ولادة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف» ويتفرع المبحث إلى ثلاثة مطالب، الأوّل بعنوان: «نصّ رواية ولادة الإمام المنتظر عليه السلام والظّرف السّياسيّ عند ولادته» والثّاني بعنوان: «الامتدادات القرآنيّة في خلاصة السورة ومراميها» والثالث بعنوان: «الامتداد في مشابهة الإمام المنتظر والنبي موسى عليهما السلام في الظّرف السّياسيّ عند الولادة». وأمّا المبحث الثاني الّذي يحمل عنوان: «الامتدادات القرآنية في مشابهة الإيحاء إلى أم موسى والإيحاء إلى أم الإمام المنتظر» فتفرع إلى ثلاثة مطالب، الأول بعنوان: «المشابهة في الإيحاء» والثاني بعنوان: «المشابهة في تحريم المراضع والبحث عن المولود» والثالث بعنوان: «قصدية اقتباس الإمام العسكري عليه السلام». أما المبحث الثالث: فقد كان تحت عنوان: «للإمام العسكري عليه السلام» وتفرع إلى ثلاثة مطالب أيضاً، المطلب الأول: «تحديد مكان الاقتباس في السورة وخلاصتها ومراميها». والمطلب الثاني: «الامتدادات النصية للمقتبس-النص الأول-». المطلب الثالث: «الامتدادات النصية للمقتبس-النص الثاني-» ثم خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية:

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، الامتدادات القرآنية، الاقتباسات.

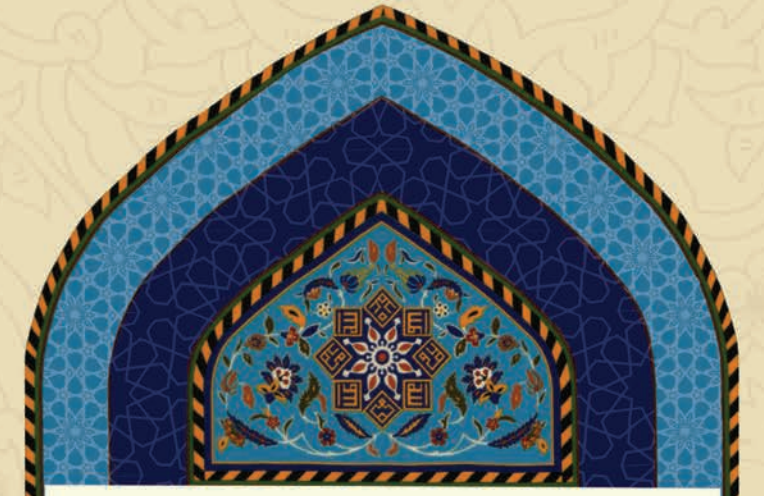

Quranic Extensions in Imam Al-Askari's (PBUH) Quotes in Light of his Hadith about the Birth of the Awaited Imam (May Allah hasten his reappearance)

Abstract:

The Quranic extensions in Imam Al-Askari's quotes mean that the quotes mentioned in the Imam's saying have intended extensions in the holy Quran. They even have intended associations found in the surah goals from which the Imam quoted (PBUH). This phenomenon is observed in previous papers, which allowed the current research to hypothesize that Imam Al-Askari's quotes and speeches about Imam Al-Mahdi have associations with the text from which he quoted (PBUH). They may also have general extensions in the surah and its goals. The study seeks to verify the validity of this assumption to prove it.

The study structure includes a preface and three sections. The first section tackles the first quote entitled "Quranic extensions in Imam Al-Askari's speech at the birth of Imam Al-Mahdi." This section is subdivided into three subsections: the first was entitled "the narration of Imam Al-Mahdi's Birth and the political context at the time of his birth," the second subsection was entitled "Quranic Extensions in the summary of the surah and its objectives." The third was entitled "Extensions and the Similarity between Imam Al-Mahdi and the Prophet Moses in the political context at the time of their births."

The second section was entitled "Quranic Extensions in the Similarity between the Inspiration to Um Musa and the Inspiration to Um Al-Imam Al-Mahdi (PBUH). " It was divided into three sub-sections; the first was entitled "Similarity of inspiration," the second was entitled "Similarity in preventing suckling and searching for the newborn," and the third was entitled "Intentionality in Imam Al-Askari's quote."

The third section was entitled "For Imam Al-Askari, (PBUH) " divided into three sub-sections. The first sub-section was entitled "Determine the quote location in the surah, its summary, and objectives." The second sub-section was entitled "Textual extensions of the first quote." The third sub-section was entitled "Textual extensions of the second quote." The conclusion summarizes the most important findings.

key words:

: Imam Al-Hasan Al-Askari (PBUH), the Awaited Imam Al-Mahdi(PBUH),Quranic extensions, and quotes.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

مقدمة

الحمد لله الحنّان المنّان الّذي منّ على عباده بالخلق والرّبوبيّة، وعلى آخر الزّمان بالمصطفى محمّد خاتم الأنبياء والرّسل، وصلّى الله على الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل، وعلى أهل بيته، أهل العصمة ولاسيما خاتمهم الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً.

وبعد:-

فإنّ المقصود بالامتدادات القرآنيّة في اقتباسات الإمام العسكريّ أنّ الاقتباس الّذي يرد في خطاب الإمام عليه السلام له امتدادات مقصودة في النّص القرآنيّ الّذي اقتبس منه، بل له إيحاءات مقصودة نجدها في أهداف السّورة التي اقتبس منها الإمام عليه السلام.

ولم يكن هذا الافتراض عاطفياً، ولا خطوة لإجبار النّصوص على الخضوع لذلك الافتراض، إنما مرّ هذا الافتراض بأكثر من تجربة وقد صدق فيها.

إنّ مسوغات ذلك الافتراض يستمدّ شرعيته من الحديث النبويّ الشريف: «وإنّي مخلف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهلِ بيتي هما الخليفتان فيكم، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1] لأنّه من كان صنو القرآن يعني أنّ القرآن مفتوح أمام بصيرته لفظاً ودلالة وتأويلاً، ومن كان كذلك يعطي مشروعية الافتراض للباحث بأنّ الاقتباس في خطاب الأئمة يكون مختاراً بأبعاده الممتدة في نصّه وسياقه، فيأخذ بذلك أبعاداً تتجاوز المقام الذي قيلت فيه، وتتجاوز حدود إفهام المتحدَث له، لأن أهل البيت عليهم السلام يوضحون دستور الإسلام في كلّ فرصة تتاح لهم، ولما كانت غالبية الفرص حين تتاح محفوفة بالمخاطر كان كلامهم قليلاً في مفرداته عميقاً في دلالته بعيداً في شأوه، يرومون به تقويم سلوك الحاضر والمستقبل، لذا كان من واجب من يسعى إلى فهم كلامهم ألّا يكتفي بظاهر القول أو بظاهر المراد الآني، إنّما يجب أن يبحث في أبعاد الكلام.

وتأسيساً على ما تقدم لمستُ في أبحاث سابقة خصوصية لاقتباسات أهل البيت عليهم السلام، وقد أطلقتُ عليها صفة (الامتداد القرآنيّ)، وما المقصود بالامتداد القرآنيّ إلّا ما نجده من دلالات إضافية يستمدها المتدبّر في النّص القرآنيّ الذي

(١) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢٨، ص١١١.

اقتبس منه الإمام، وهذا ما سوّغ للبحث الافتراض بأنّ اقتباسات الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام في خطابه عن الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف لها امتدادات في النّص الّذي اقتبس منه، وربما يكون لها امتدادات في عموم السّورة وفي أهدافها، وسيعمل البحث على التحقق من صحة هذه الفرضية.

لم تكن هذه الدّراسة الأولى في ميدان البحث عن الامتدادات، فقد كانت لي دراسات سابقة، بدأت مع الإمام الكاظم عليه السلام حيث تمكنت فيها من مقاربة البحر الكاظميّ المقدّس في دراسة بعض من محاوراته، حيث لمست في كلامه عليه السلام امتدادات قرآنية، تنطلق من المفردات التي استعملها في خطابه، لتشير إلى أماكنها في القرآن الكريم، وكأنّها تدلنا من طرف خفي على مراد الإمام في خلال السّياق القرآنيّ الّذي وردت فيه تلك المفردة أو ذلك المركب لتثري المقصد، وما أن انطلقتُ من كلام الإمام عليه السلام إلى القرآن الكريم متتبعة تلك الامتدادات حتى عرفتُ أنّ مقاصد كثيرة أشار إليها الإمام ليعرض حقائق المجتمع وحقائق الدّين وحقيقة الظّرف الّذي هو فيه، ومن هذه الملاحظة اهتديتُ إلى منهج الامتدادات القرآنيّة، ثم تلطّف عليّ الرّب الرّحيم ومكنني من تطبيق الفرضية ذاتها والمنهج ذاته على اقتباسات السّيّدة زينب عليها السلام في خطبة الكوفة، إذ أدّت خطابها ببلاغة تفوق ما نَظَّرت له المدارس البلاغية، ولا عجب إذا استقينا من كلام الرّسول صلى الله عليه وآله وكلام أهل بيته عليهم السلام النّظريات اللغوية والبلاغيّة، فهم معدن العروبة وفصاحتها،

أما مشروع بحث الامتدادات القرآنية في خطاب الإمام العسكريّ وتحديداً بما يخص الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد كان من مقترحات السّيّد حيدر محمود زوين.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

المبحث الأول: الامتدادات القرآنيّة في خطاب الإمام العسكريّ عليه السلام عند ولادة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف -الاقتباس الأول-

المطلب الأول

الظّرف السّياسيّ ونصّ رواية ولادة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أولاً: الظّرف السّياسيّ

لقد عانى الإمام العسكريّ ووالده الإمام الهادي عليهما السلام صنوفاً مرهِقة من الظّلم في الحكم العباسيّ، إذ استقصدهما ولاة بني العباس وهما في المدينة المنورة وذلك بالوشاية للمتوكل[١]، ثمّ يستقدمهما المتوكل إلى سامراء بدعوة ظاهرها المودّة وطلب القربى[٢]، ونتيجتها أن يجعلهما ماكثين في خان للصعاليك مدّة من الزمن[٣]، ولمّا لم يحصل المتوكل على مراده من إنفاد صبر الإمامين عليهما السلام، استعمل معهما اسلوب الترغيب والترهيب ظناً منه أنّ بريق الذّهب الّذي يذهل الحكام عن دينهم، بإمكانه أن يذهل أئمة أهل البيت عليهم السلام كذلك، ولكن في النتيجة قد نفد صبر المتوكل في رؤية الإمام الهادي عليه السلام متبرماً من إسكانه في خان الصعاليك ومن ظهور خدعة الاستقدام من المدينة، فانتقل إلى أسلوب الترغيب فشيّد لهما بيتاً مرموقاً أسكنهما فيه[٤]، ولمّا لم يجدِ الترهيب ولا الترغيب نفعاً أمام من وعدهم جدهم الحسين عليه السلام بوعده غير المكذوب: «هيهات منّا الذّلة» دبّ في نفس المتوكل اليأس وراح ينقلهما «من سجن إلى سجن»[٥].

على الرّغم من تغيّر الحكام في بني العباس عند تولي الإمام العسكريّ عليه السلام الولاية بعد أبيه الإمام الهادي عليه السلام، حين وصلت الخلافة إلى (المعتز العباسيّ -٢٥٤هـ) ثمّ (المهتدي العباسيّ-٢٥٦هـ) ثمّ (المعتمد العباسيّ -٢٧٩هـ) الّذي تمّ قتله، وكانت في نهايته نهاية عاصمة سامراء للدولة،[٦] فقد قضى الإمام العسكريّ معظم حياته مغيّبا في السّجون ومغيّبا عن

(١) ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص٣٩١

(٢) ينظر: الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المنتظر، ج١، ص١٠٩

(٣) ينظر: المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الإرشاد، ص٣٣٤.

(٤) ينظر: الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المنتظر، ج١، ص١١٩.

(٥) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المهدي، ص١٠٣

(٦) ينظر: الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المنتظر، ج١، ص١٦٥-١٦٦.

مجلة تراث شمارة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

شيعته وحُرم العلماء والرواة من علومه، وضيقوا عليه حياته الاقتصاديّة وغيرها غاية التضييق، ولم يكن للإمام ذنب يُعترف به إلا مكانته عند المسلمين، فقد كان أعظم شخصية في العالم العربيّ والإسلاميّ، ظهرت آيات إمامته فدانَ بها شطرٌ كبيرٌ من هذه الأمة، والأمر الآخر الذي أقضَّ مضاجع العباسيين: أنّ الإمام عليه السلام لم يساير الحكم العباسيّ ولم يصانعه[١]، وقد سلك في ذلك المنهج أسلوباً حار به العدو، فهو أسلوب واضحة فيه منهجية ربانيّة مسدّدة من الله عزّ وجلّ لا يتمكن منها من لم تحطه العصمة، إذ كان منهجه عليه السلام لا يظهر فيه ما يسوّغ للعدو إدانته، وفي الوقت نفسه لا يظهر فيه ما يشير إلى رضا أو قبول بما يصنعه بنو العباس، فقد كان عليه السلام إن سُئل أجاب فيقضّ بإجابته مضاجع الطغاة، وإن لم يُسأل سكت فيرعب بسكوته قلوبهم ويجعلها فزعة تحسب كلّ صيحة عليهم، وكان من ذلك السكوت المفزع للعباسيين سكوته عليه السلام عن إعلان وصيّ من بعده، وكان لذلك مسوغات يجعله واجباً عقلياً[٢] فضلاً عن الواجب الشرعيّ، إذ من المعلوم أنّ نجله (خليفته) هو: «الإمام المنتظر عليه السلام الّذي بشّر به الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأعلن أنّه آخر خلفائه الاثني عشر، وأنّه المُصلح الأعظم الّذي ينشر العدل السّياسيّ، والعدل الاجتماعيّ ويقضي على جميع أفانين الظلم والجور»[٣] ولذلك ستكون عيون الأعداء مرصداً دائماً يرصد ولادة ذلك الخليفة.

يظهر جلياً مما تقدم أنّ الظرف الذي ولد فيه الإمام المنتظر كان ظرفاً استثنائياً بامتياز، ووسيلة النّجاة فيه الكتمان وإدامتها التغييب، وهذا ما حصل فعلاً منذ تزوّج الإمام العسكريّ السّيّدة والدة الإمام المنتظر عليه السلام، حيث اقتضبت الروايات في ولادة الإمام المنتظر عليه السلام، وكادت تقتصر على الرّواية المنقولة عن السّيّدة (حكيمة: عمّة الإمام العسكريّ عليه السلام) اقتضاء للسّريّة التّامّة.

ثانياً: نص الرواية.

تقول الرواية[٤]: «عن حكيمة بنت

(١) ينظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المهدي، ص١٠٣

(٢) ينظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المهدي، ص٢١١.

(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المهدي، ص١٠٣.

(٤) لقد اقتطعنا من الرواية ما هو خارج عن أهداف البحث.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

محمد بن علي الرضا قالت: بعث إليّ أبو محمّد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين في النّصف من شعبان وقال: يا عمّة اجعلي الليلة إفطارك عندي فإنّ الله عزّ وجلّ سيسرك بوليه وحجته على خلقه خليفتي من بعدي، قالت حكيمة: فتداخلني سرور شديد وأخذت ثيابي علي وخرجت من ساعتي حتى انتهيت إلى أبي محمّد عليه السلام وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله فقلت: جعلت فداك يا سيدي، الخلف ممّن هو؟ قال من سوسن فأدرت طرفي فيهن فلم أر جارية عليها أثر غير سوسن (... وحين تمت الولادة) ناداني أبو محمد عليه السلام: يا عمّة هلمّي فأتيني بابني. فأتيته به، (...) وقال يا بني انطق بقدرة الله، فاستعاذ وليّ الله عليه السلام من الشّيطان الرجيم واستفتح: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1] وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين والأئمة واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه، فناولنيه أبو محمّد عليه السلام وقال «يا عمّة ردّيه إلى أمّه حتى تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حقّ ولكنّ اكثرهم لا يعلمون، فرددته إلى أمّه وقد انفجر الفجر الثاني (...)»[2].

الاقتباس الوارد في نصّ الإمام عليه السلام

قوله: «يا عمّة ردّيه إلى أمه حتى تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد الله حقّ ولكنّ اكثرهم لا يعلمون، فرددته إلى أمّه وقد انفجر الفجر الثاني» وكان ذلك الاقتباس من قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ

(١) سورة القصص، الآية ٦.

(٢) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، كتاب الغيبة، ص١٤٢.

فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

اقتباس الإمام عليه السلام كان في سياق قصة موسى عليه السلام الواردة في سورة القصص، وهو من قوله تعالى: ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ والمبحث الثّاني الآتي سيفترض أنّ اقتباس الإمام عليه السلام من ذلك النّصّ ومن تلك السّورة مقصود لوجود امتدادات قصديّة فيهما، ومن ثمّ يتحقق المبحث من صحّة الفرضيّة.

المطلب الثاني

خلاصة السّورة ومراميها والامتدادت القرآنية لمقاصد الإمام عليه السلام

أوّلاً: خلاصة السورة ومراميها:

يشير أحد المفسرين المحدثين في تحليله الإجمالي لسورة القصص بأنّها سورة مكيّة، نزلت والمسلمون قلّة مستضعفة، والمشركون أصحاب السّلطان، فقدمت موازين موثقة بقصص واقعية لبيان أنّ القوّة الوحيدة في الوجود هي قوّة الله، وأنّ عنصر الانتفاع الحقيقيّ من تلك القوة هو الإيمان، فمن آمن كانت قوّة الله معه ثمّ لا خوف عليه ولو كان مجرداً من مظاهر القوّة كلّها، ومن كفر كانت قوّة الله عليه ثمّ لا أمن له ولو ساندته القوى كلّها، والوثيقة الّتي تقدمها السّورة على إثبات هذه الحقيقة قصّة موسى وفرعون وقصّة قارون مع قومه، فالأولى تعرض قوّة السّلطان الطّاغية الّذي استنفر اليقظة كلّها واستجلب الحذر كلّه ليتغلب على طفل لم يولد بعد، ولمّا كان الله سبحانه ليس معه غلبه ذلك الطفل وهو رضيع لا حول له ولا قوّة، ولا ملجأ له ولا وقاية، غلبه في عقر داره، وبقي في حراسة القوّة الحقيقيّة الوحيدة، فهي من ترعاه وتدفع عنه السّوء

(١) سورة القصص، الآية ٣ ـ ١٤.

مجلة تراث شاهرة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

وتعمي عنه العيون، وتتحدى به فرعون وجنده تحدياً سافراً فتجعلهم مكتوفي الايدي، والقصّة الثّانية تعرض قيمة المال، وقيمة العلم المتعلق به، حيث يدعيها قارون ويحسب أنّه حصل على المال بسبب علمه به، ولكن الذين أوتوا العلم الصّحيح يعلمون أنّ الويل ينتظر هؤلاء، ويعلمون أنّ ما عند الله خير وأبقى، حتى يأتي أمر الله بنهاية الطواغيت ونصر أهل الحقّ ودعاته، فتخسف بدار قارون الأرض، ولا يغني عنه ماله ولا علمه، ثم يعود موسى عليه السلام إلى البلد الذي كان قد خرج منه خائفاً طريداً وتكون النتيجة: أنّه أباد فرعون وقومه واستنقذ بني إسرائيل.(١)

ثانياً: الامتدادات القرآنية لمقاصد الإمام عليه السلام

إنّ أجواء السّورة تشير إلى التّشابه مع الأجواء المنظورة الّتي ولد فيها الإمام المهديّ عليه السلام، حيث التّسلط الطاغوتي على أهل البيت عليهم السلام، فتتدخل القدرة الإلهية ليولد الطفل الموعود في عقر دار الطواغيت: (سر من راى) وهي دار الحكم لحكام توارثوا البغضاء لآل البيت عليهم السلام، ثم يغلب سبحانه وتعالى على أمره فيغيّب ذلك الطفل في هذا الكون الواسع، وتقهر تلك الطواغيت كلّها في النَيل منه، وكأن هذا التشابه بين الحالين: حال موسى عليه السلام في آل فرعون، وحال الإمام المنتظر عليه السلام في حكم بني العباس هو ما أراد الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الإشارة إليه والتنبيه عليه في أول كلام له في حديث الولادة، حيث تلا قوله تعالى(٢): ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(٣). وهذا ما يوضح معنى أن نجد كثيراً من المفسرين يشيرون إلى ارتباط هذه الآية المباركة بقضيّة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالشّيخ الطوسي يقول: «أنّ الآية نزلت في شأن المهدي عليه السلام وأنّ الله تعالى يمنّ عليه بعد أن استضعف، ويجعله إماماً مُمَكَّناً، ويورثه ما كان في أيدي الظلمة»(٤). والسّيّد الطباطبائيّ يشير إلى ما يشرّع هذا التأويل حين يفصّل في الأمر مستشهداً بسليقة أهل البيت عليهم السلام فيقول:

(١) ينظر: سيد قطب، فى ظلال القرآن، ج٥، ص ٢٦٧٣.

(٢) ينظر الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، كتاب الغيبة، ص١٤٢.

(٣) سورة القصص، الآية ٦.

(٤) الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٨، ص١٢٩.

مجلة تراث شمارة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

« فإنّهم عليهم السلام يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد وإن كان خارجاً عن مورد النّزول، والاعتبار يساعد»(١). أمّا صاحب الأمثل فيجعل الآية أكثر عمومية إذ يقول: «إنّ الآيات المتقدمة لا تتحدث عن فترة خاصة أو معينة، ولا تختص ببني إسرائيل فحسب، بل توضح قانوناً كلياً لجميع العصور والقرون ولجميع الأمم والأقوام... فهي بشارة في صدد انتصار الحقّ على الباطل والإيمان على الكفر، وهي بشارة لجميع الأحرار الذين يريدون العدالة وحكومة العدل وانطواء بساط الظلم والجور»(٢).

وهنا تأتي ملاحظة الامتدادات القرآنية لتضيف قضيّة المشابهة في الأحوال لما تقدم فتسوغ لنا فهم قضايا عن طريق المشابهة، بعد أن كانت قضايا تصعب على الفكر المعاصر الذي أشبع بخرافات المادية أن يستوعب ما كان وما يكون، فقضية الإمام المهديّ وحكام عصره تشبه قضيّة موسى عليه السلام وحكم فرعون، وبناء على ذلك التشابه فإنّ أحكام الله سبحانه السّارية في المشبه هي ذاتها السّارية في المشبه به، وانطلاقاً من هذه الإنارة في الامتداد القبسيّ نفهم ربط المفسرين بين تلك الآية والإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، فالطبرسي يقول: المعنى أنّ فرعون كان يريد إهلاك بني إسرائيل وإفنائهم والله يريد أن يمنّ عليهم ويجعلهم قادة ولاة يطأ الناس أعقابهم وأن يرثوا الديار والأموال، ثم ينقل لنا رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يؤكد عقد المشابهة بين قضية موسى عليه السلام وقضية الإمام المهديّ عليه السلام فيقول: «وقد صحت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضّروس على ولدها وتلا عقيب ذلك ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾(٣) ثمّ يروى في أصول الكافي قال: «نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من الّذين قال الله عزوجل: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾»(٤) وروي ايضاً أنّه: «قال سيّد العابدين

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٤٤.

(٢) الشيرازى، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص١٧٥.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٧٥ -٣٧٦.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص١٠٩.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

علي بن الحسين عليه السلام والذي بعث محمداً بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ الأبرار منّا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه»[١] ثم تلا الآية المباركة[٢].

وقد ورد في الخبر تشبيه صريح بين قصة موسى عليه السلام وقصة الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف حيث روت السّيّدة حكيمة عن الإمام العسكريّ بأنّه قال: «إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحَبَلُ، لأنّ مثلها مثل أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحَبَلُ ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأنّ فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى»[٣].

وتأسيساً على ما مضى فإنّ وجه المشابهة الّذي يستوحيه المتلقي من الامتدادات القرآنية لاقتباس الإمام العسكري عليه السلام وللاقتباس الذي يتلوه الإمام المنتظر عليه السلام من سورة القصص يسند صحة الافتراض بأنّ الإمام العسكري قد قصد ذلك الاقتباس من تلك السورة لتبيّن امتداداتها مزيداً من الأخبار القصديّة.

المطلب الثالث

الامتداد في مشابهة الإمام المنتظر والنبي موسى عليهما السلام في الظرف السياسي عند الولادة:

إنّ اقتباس الإمام العسكري يفتح أبواب المشابهة بين القضيتين ممّا يتيح للباحث أن يتحقق منها في ماضي الزمان وأن يتوقع المشابهات في مستقبل الأيام.

يُفتتح النّصّ الّذي اقتبس منه الإمام العسكريّ بقوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤] فالامتداد يشير إلى مشابهة حال المتلقي للقضية الموسويّة وحال المتلقي للقضية المهدويّة، فإنّ الّذي سيحصل في ولادة الإمام المهديّ عليه السلام هو حقّ ولكن لا تتبيّن حقيقته إلّا للقوم المؤمنين، وقد ورد أنّ المقصود بالمؤمنين؛ الذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، وقد خصّهم الله بالذّكر لأنّهم هم المنتفعون بذلك العلم الّذي يتضمنه ذلك النبأ،[٥] وهذه مشابهة

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٧٥-٣٧٦.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٧٥-٣٧٦.

(٣) الطبرسي، الشيخ حسين النوري، النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، ج١، ص١٤٤.

(٤) سورة القصص، الآية ٣.

(٥) ينظر: الآلوسي، السيد محمود، روح المعاني

واضحة؛ إذ لا ينتفع من قصّة موسى عليه السلام من لا يؤمن بالله سبحانه، وكذلك لا ينتفع من قصّة الإمام المنتظر من لا يؤمن بالله سبحانه، بل لا ينتفع من وجه الشّبه بين قضيّة موسى عليه السلام وقضيّة الإمام المنتظر من لا يؤمن بالله سبحانه.

إنّ الظرف السّياسيّ الّذي وُلد فيه النبيّ موسى عليه السلام، عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1] وفي عصر الإمام المنتظر عليه السلام عبر عنه التاريخ بأحداثه ووقائعه.

أوّلا: الظّرف الّذي ولد فيه موسى عليه السلام:

كان الحكم الطاغوتي متمثلاً بالقيادة الفرعونيّة، وقد عبّر القرآن الكريم عن تلك الطاغوتية بـ (العلوّ) والتعبير كناية عن التّجبر والتّسلط على النّاس، وكأن القرآن الكريم بعد أن أجمل الحكم الطاغوتي بمفردة (العلوّ) سلّط الأضواء على أبشع صورة لذلك التّسلط، والمتمثل بإصدار أمر يُقتل على موجبه كلّ طفل ذكر، ويُبقي على حياة كلّ وليد أنثى، وقد نجح فرعون في إنفاذ حكمه ببرنامج خاص هدفه تقسيم المجتمع إلى جماعات متفرقة متناحرة، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا البرنامج بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً﴾[2] والشّيع الظاهرة في القرآن الكريم شيعتان: شيعة آل فرعون وشيعة بني إسرائيل، ولكن التّعبير القرآنيّ يقول شيع على صيغة الجمع، فيبدو إنّ التّفرقة بين الشّيعتين الكُبريين أن تكون شيعة آل فرعون لها العلوّ في الأرض، وهي بعلوها تستضعف الشّيعة الأخرى وهي شيعة بني إسرائيل،[3] فتمزقها إلى شيع من أجل استغلالها وضمان ضعفها الّذي يلجئها بطبيعة الحال إلى الشّيعة العظمى، وعادة ما تكون القوى الكبرى في أمسّ الحاجة لوجود القوى المستضعفة، إذ لولا ذلك الاستضعاف لما استقرت حكومات الطواغيت، ولذلك نجد التّوصية الفرعونيّة: بالإبقاء على النّساء، لتغطية الخدمة بدل الرّجال الّذين قضى عليهم

في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٠، ص٢٥٣.

(١) سورة القصص، الآية ٤.

(٢) سورة القصص، الآية ٤.

(٣) ينظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٤، ص١٥٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

الحكم الفرعونيّ بالاستئصال، واختُلف في سبب ذلك الاستئصال، حيث قيل: إنّ كاهناً تنبأ بمولود ذكر في بني إسرائيل يولد في ليلة علّمها، سيذهب ملك الفرعون بين يديه، فقتل الفرعون في تلك الليلة اثني عشر غلاماً، وبقي هذا القرار سنين كثيرة، حتى قتل الأقباط من بني إسرائيل أكثر من تسعين ألف طفل ذكر، وفي رواية أخرى أنّ النبوءة كانت من أنبياء قبل ولادة موسى عليه السلام، بشروا بمجيئ موسى، وبشروا بزوال السّلطان الفرعونيّ على يده، ولمّا وصلت هذه النبوءة إلى الفرعون اتخذ القرار في تذبيح أبناء بني إسرائيل، وهذه الرواية أكثر قرباً من العقائد النبوية[١].

ثانياً: الظّرف الّذي ولد فيه الإمام المهديّ عليه السلام:

لم تكن محنة الإمام المنتظر عجّل الله فرجه مختصة به فحسب، بل هي محنة أئمة أهل البيت عليهم السلام، من عليّ وحتى المهديّ عليهم السلام جميعاً، ويبدو أنّ المحنة بدأت منذ آية التبليغ، فالتّاريخ يذكر المحن الّتي مرّ بها الأئمة المعصومون عليهم السلام حتى نالوا درجة الشّهادة كلّهم وحتى الإمام المنتظر عليه السلام قيل بأنّه سيستشهد بعد ظهوره،[٢] ولمّا كان عنوان البحث هذا وأهدافه لا تتسع للخوض في تلك التفاصيل، اكتفى بالوقوف على أحوال الإمامين العسكريين في سامراء لإيضاح الأحوال السّياسيّة الّتي أحاطتهم، وما نجم عنها من ظرف خاص بالإمام المنتظر عليه السلام.

أنّ محنةً خاصّةً بدأت مع الإمامين العسكريين منذ تولي المتوكل العباسيّ الإمارة سنة: (٢٣٢هـ)[٣] إذ يذكر التّاريخ أنّ المتوكل العباسيّ: «...شديد الوطء على آل أبي طالب، فكان غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهم لهم»[٤] ولم يمنحه ذلك العمل إلا زيادة في الخوف والتّوجس من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فسار على ما سار عليه الأمراء من بني العباس قبله، والمتمثل باستقدام الأئمة عليهم السلام إلى دار الحكم بظاهر حبّ القربى وبباطن المراقبة والسّيطرة، فقد ابتدع هذا الأسلوب المأمون حين

(١) ينظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٤، ص٥٧٨.

(٢) ينظر: الصدر، محمد صادق، تاريخ ما بعد الظهور، ج٤، ص٦١٥.

(٣) ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٩٤.

(٤) الأصفهاني، لأبو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص٣٩١.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

استقدم الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان بزعم تقليده ولاية العهد، ولكنّ القارئ للأحداث يجده سجناً وليس بولاية عهد، ولكنّه سجن انقلب على السّجان، إذ رأى المأمون حفاوة النّاس بالإمام الرضا عليه السلام، ورأى مقدار علمه ودينه وورعه، ممّا أوقد مراجل الحسد ومن ثم الحقد، وممّا زاد الأمر سوءاً؛ يوم ألحّ المأمون على الإمام بأداء صلاة العيد، فخرج الإمام على صورة الرّسول الأعظم حين يتوجه إلى صلاة العيد: حافي القدمين يعتمّ بالعمة البيضاء متشحاً بالملابس البيض وهو ينادى (الله اكبر) فالتحق به النّاس مكبرين وقد اتحدت أرواحهم من غير إرادة منهم بشخص الإمام الرّضا عليه السلام، فوصلت الصّورة إلى المأمون وخشي من أن النّاس صارت قاب قوسين أو أدنى من الانقلاب عليه، فأرجعه المأمون مدعياً الشّفقة عليه من التّعب، ثم راح يزداد كراهية وخوفاً حين كان الإمام عليه السلام دائم التّصحيح لأخطاء المأمون، حتى جاء اليوم الذي طفح بالمأمون الكيل فدس للإمام السّمّ وتخلص منه،[١] وبعد ذلك ما حصل للإمام الجواد عليه السلام حين صاهره المأمون وأعاده إلى المدينة المنورة[٢] وبذلك جعله تحت عين من عيون بيته، وهي زوجه أم الفضل،[٣] حتى كان حكم المعتصم بن هارون سنة: (٢١٨هـ)[٤] استقدمه إلى بغداد من المدينة المنورة بصحبة أم الفضل زوجه وأخت المعتصم، وكان المعتصم شديد الحقد على الإمام الجواد عليه السلام فاستغلّ امتعاض أم الفضل من الإمام الجواد كونه كان يرعى جاريته أم الإمام عليّ الهادي عليه السلام رعاية خاصة لكونها هي من ستنجب الإمام الجواد عليه السلام، بينما أم الفضل لم تكن منجبة، فاستغلّ المعتصم ذلك ليغريها بدسّ السّمّ في طعامه عليه السلام فدسته واستشهد صلوات الله عليه وسلامه،[٥] وهكذا كان المتوكل مع الإمام الهادي عليه السلام، فظاهر الأمر أنّ سبب استقدام الإمام الهادي إلى سامراء بدعوة حميمة من المتوكل، حيث إنّ والي المتوكل على المدينة كان دائم السّعي إلى

(١) ينظر: المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الإرشاد، ص٣١٠ - ٣١٦.

(٢) ينظر: المسعودي، أبي الحسن بن علي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ص٢١٦.

(٣) ينظر: القزويني، السيد حسين، موسوعة الإمام الجواد، ص٣٨.

(٤) ينظر: المسعودي، أبي الحسن بن علي، اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ص٢١٩.

(٥) ينظر: المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الإرشاد، ص٣٢٦.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

إغراء المتوكل بالإمام الهادي عليه السلام، وقد تعامل الإمام بحكمة إمام معصوم، فأرسل كتاباً إلى المتوكل يعلمه بتحامل ذلك الوالي وبكذبه، وحينها أرسل المتوكل رسالة إلى الإمام تقطر مودة، وبيّن شوقه إلى رؤية الإمام وطلب لقاءه وأخبر بأنّه قد عزل الوالي المسيء،(١) ولكنّ النتيجة أن يُسكن الإمام عند وصوله إلى سامراء ولمدّة من الزّمن في خان الصّعاليك،(٢) وهذا الفعل منسجم مع سياق حياة المتوكل المجاهرة بالعداء لأهل البيت، إذ لا يمكن أن تحمل تلك الرّقة محمل صدق محبّة حين نجد أنّ في سنة (٢٣٦هـ) يأمر: «المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدّور وأن يبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع النّاس من اتيانه، فنادى بالنّاس في تلك النّاحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق... وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولى علياً وأهل بيته يأخذه بالمال والدّم، وكان من جملة ندمائه (عبادة المخنث) وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين، يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك...»(٣) فهكذا حاقد على أمير المؤمنين عليه السلام يُشك في صدق محبّة منه لأبنائه عليهم السلام، فقد ذُكر أنّ من شدة مقته لأهل البيت عليهم السلام أنّه سأل ابن السكيت النّحوي: «أيّهما أحبّ اليك المعتز والمؤيد أو الحسن والحسين؟ فتنقّص ابنيه وذكر الحسن والحسين عليهما السلام بما هما أهل له، فأمر الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى داره فمات»(٤) وكراهية المتوكل للأئمة المعصومين ظاهرة في مواقف شتّى، منها موقفه مع الشّاعر أبي السّمط مروان بن أبي الجنوب، حيث يقول: «انشدت المتوكل شعراً ذكرت فيه الرّافضة فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع عليّ أربع خلع وخلع على المنتصر، وأمر لي المتوكل بثلاثة آلاف دينار فنثرت عليّ، وأمر ابنه المنتصر

(١) ينظر: المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الإرشاد، ص٣٣٣.

(٢) ينظر: المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الإرشاد، ص٣٣٤.

(٣) ابن الأثير، أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٠٨ - ١٠٩.

(٤) ابن الأثير، أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٣.

وسعد الايتاخي أن يلتقطاها لي فعلا»[1]
ومن ذلك الشعر قوله:

يرجو التراث بنو البنا

ت وما لهم فيها قلامة

والصهر ليس بوارث

والبنت لا ترث الإمامة[2]

وقد أثبتت كتب التّاريخ أنّ المتوكل كان يظهر الإكرام للإمام الهادي ويبطن التّحايل للإيقاع به، ولكنّ الإمام لم يمكّن من نفسه بفضل الله سبحانه وبما أسبغه عَزّ وجلّ على أهل العصمة عليهم السلام من خُلق وحكمة وحصافة،[3] وقد اعترف المقربون من السّلطة أنّ المتوكل ومن سار في سيرته قد جردوا السّيف على شيعة أهل البيت ليردوهم عن الولاء للأئمة المعصومين،[4] وقد استقدموا الإمامين عليهما السلام إلى سامراء من المدينة المنورة بحجة الاحتياج والاستشارة، ولكن النتيجة تظهر بأنّها الحبس والمراقبة، بل حتى حبس الأنفاس عليهم وعلى شيعتهم[5].

وهنا يلمس البحث جوانب الشّبه الظّرفي المجتمعي السّياسي بين ما كان فيه موسى عليه السلام وبين ما كان فيه الإمام الحجة عليه السلام، حيث الطغيان السّافر الّذي يعيث في البلاد الفساد وفي العباد، من جور وقتل واستئصال، فالنّصّ القرآنيّ الّذي اقتبس منه الإمام العسكريّ عليه السلام يوضّح الظّرف الّذي وُلد فيه النّبيّ موسى عليه السلام، والّذي دعا إلى إخفاء هويته وهو طفل رضيع، ثم تغييبه بعد ظهور ملامح رسالته وتكوّن شيعة له، فراح يدخل المدينة سراً للقائهم،[6] ويبدو أنّ شيعته امتدت إلى بعض من آل فرعون والمقربين منه، فقد قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ

(١) ابن الأثير، أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٤٠.

(٢) ابن الأثير، أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٤٠

(٣) ينظر: المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الإرشاد، ص٣٤٠.

(٤) ينظر: المفيد، الشيخ محمد بن محمد، الإرشاد، ص٣٤٠.

(٥) ينظر: الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المنتظر، ج١، ص١٠٨.

(٦) قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ ينظر: سورة القصص، الآية ١٥.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[١] وقد ورد في التّفسير: أنّ الرّجل مؤمن من آل فرعون،[٢] ثم يبيّن النّصّ القرآنّي أنّ موسى عليه السلام اختار طريق التغييب لثمان حجج أو تزيد قضاها مغيباً عند النبيّ شعيب عليه السلام، حتى أمره الله سبحانه بالظّهور والكرّة القاصمة على فرعون وآل فرعون، ومن ثم كانت النّجاة وبسط الدّين وإظهاره[٣].

ويلحظ البحث أنّ الفائدة من الامتدادات القرآنيّة بيان أنّه: من سنن الله في أوليائه تغييبهم في الظّرف الحرج حفاظاً على الرّسالة المكنونة في صدورهم، وعلى شخصهم المعدّ اعداداً لحمل تلك الرّسالة، وأيضاً ليكون ظهورهم بعد التغييب آية على صدق دعواهم ومدعاة للتصديق برسالتهم، وهكذا يبين لنا التّشابه الظّرفي بين ماضي الإمام المنتظر عليه السلام وبين ماضي النّبيّ موسى عليه السلام، ومن ذلك يمكننا الفهم الظّرفي لمستقبل الإمام المنتظر قياساً على الظّرف الّذي مرّ به موسى عليه السلام بعد الظّهور، والمتمثل بالنّصر المؤزر واندثار الطّغيان الفرعوني، ولكنّه انتصار لا يخلو من منغصات، فهناك السّامري، وهناك من يريد أن يرى الله جهرة، وهناك من يسأم المنّ والسّلوى فيريد الفوم والبصل والقثاء، وقائمة الاعتراضات تطول، ليبدو أنّ حكم الإمام المنتظر عليه السلام هو الآخر لا يخلو من تلك المنغصات الّتي تؤدي إلى استشهاده عليه السلام بعد ذلك الغياب الطويل وبعد ذلك الانتظار المحفوف بالصّبر على المكاره، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المبحث الثاني: الامتداد في الإيحاء إلى أمّ موسى والإيحاء إلى أمّ الإمام المنتظر عليه السلام.

المطلب الأول

المشابهة في الايحاء:

إنّ الامتدادات الّتي يشعرنا به هذا الاقتباس المبارك يحلّ كثيراً من الجدل ومن التساؤلات عن قصّة شراء السّيّدة نرجس[٤] وما كان يوحَى لها قبل ذلك الشّراء، إذ تقول خلاصة القصّة: إنّ الإمام الهادي عليه السلام

(١) سورة القصص، الآية ٢٠.

(٢) ينظر: الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٨، ص١٣٩.

(٣) ينظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٤، ص٥٩٢.

(٤) من أسماء السيدة والدة الإمام المنتظر عليه السلام نرجس، مليكة، صقيل، ريحانة، سوسن، وقيل سليل.

مجلة تراث شاهرة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

حين أراد أن يزوّج الإمام العسكريّ عليه السلام أمر (بشر بن سلمان النخاس) بالسّفر إلى بغداد لشراء جارية بمواصفات خاصة، أهمها: أنّها تمنع مالكها من بيعها إلّا لمن ترتضي، فضلاً عن مواصفات دقيقة أخرى، ثمّ يكتب كتاباً سرياً باللغة الرّومية إلى الجارية المقصودة، وسرعان ما يجد «بشر» تلك الجارية وبالمواصفات عينها، فيعرض عليها بشر الشّراء ويسلمها الرّسالة فتوافق موافقة من كان في انتظار هذه الفرصة، وبعد استنطاقها عن حالها تبيّن أنّ رؤياً كانت تراها كلّ يوم في المنام تبشرها بالزّواج من الإمام العسكريّ عليه السلام[١].

إنّ الامتداد القبسي للإمام العسكريّ ينفعنا في فهم هذه الرؤيا وتصديقها، وذلك عن طريق الاشتراك مع أم موسى في قضية الإيحاء الّذي ذكره النصّ المقتبس منه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢] وقد ورد في التّفسير: إنّ فرعون لمّا علم أنّه يولد طفل في بني إسرائيل يذهب ملكُه على يديه، خاف وزبانيته من ذهاب الملك وهلاكهم[٣] وهكذا كان الاستنفار الفرعونيّ على أشده حين ولادة موسى عليه السلام، ممّا يؤكد أنّ الرّعاية الإلهية وحدها كانت القادرة على إنقاذ المولود المنتظر، إذ تبدأ تلك الرّعاية بحمل أم موسى عليه السلام والخوف من أن تلد ذكراً فيذبحه فرعون، ثمّ تتحقق الولادة الذكرية وتدخل أم موسى بالصّراع الحقيقيّ مع فرعون وآله، وهنا يأتي الإيحاء الإلهي ببرنامج الإنقاذ.

ان الذي يعنينا من هذا المشهد معرفة الامتدادات المقصودة من اقتباس الإمام العسكريّ عليه السلام الرّامية إلى تبصير المتلقي بالمتشابهات ومنها الإيحاء، فأم موسى ليست من الأنبياء، إذ أجمع المفسرون على ذلك، ولكنهم رجحوا أن يكون الإيحاء بوساطة جبريل عليه السلام، أو أنّه إلهام، أو أنّه رؤياً صادقة أوقعت في قلبها اليقين،[٤] والقول بأنّ الإيحاء كان بوساطة الرؤيا

(١) ينظر: الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المنتظر، ج١، ص٢٤٤- ٢٥٠.

(٢) سورة القصص، الآية ٧.

(٣)ينظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٤، ص ٥٧٨.

(٤) ينظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٤، ص٥٧٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

الصّادقة يبدو أكثر انسجاما مع الاستجابة المباشرة لأم موسى، فلو كان ملكاً لأثار في نفسها الشّك والتّساؤل، كما حصل مع السّيّدة مريم عليها السّلام عندما تمثل لها الملك بشراً سوياً، إذ صوّر القرآن الكريم ذلك الموقف بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾[1] فمريم عليها السلام ساءلت المَلَك حتى تبيّن لها الحقّ، وكذا الأمر بالنسبة للإلهام، إذ لم يكن الأمر الذي فعلته أم موسى شيئاً منطقياً حتى يمكن أن تستجيب للإلهام بهذه السهولة، فالإلهام بكذا قضية مصيرية مدعاة للتّردد ولأخذ المشورة، إنّما الرؤيا الصّادقة فكثير ما يثق بها الإنسان ولا سيما إذا كانت بإرادة إلهية، وهنا يأتي عنصر تثبيت الإمام العسكريّ عليه السلام سلامة الرؤيا الّتي رأتها أم الإمام المهديّ قبل أن تُسبى وتُباع في سوق النّخاسة، تلك الرؤيا الّتي تتحدث عنها الرّوايات، الّتي مرّ ذكرها قبل قليل، ممّا يجعل من يوازن بين الإيحاء لأم موسى عليه السلام، وتصديقها ذلك الإيحاء والعمل به، وبين الإيحاء للسّيّدة نرجس وتصديقها والعمل على وفقه، يمكنه فهم الموقف عن طريق المشابهة بين الظّرفين، فالإرادة الإلهية تحمي موسى عليه السلام، وتحمي الإمام المهديّ عليه السلام عن طريق امرأة كريمة اختيرت لتلك المهمة اختياراً.

المطلب الثاني

المشابهة في تحريم المراضع والبحث عن المولود:

أولا: تحريم المراضع:

إنّ المشابهة الأخرى هي تحريم المراضع على موسى عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ وكذلك الإمام المهديّ عليه السلام حُرّمت عليه المراضع، فقد روي عن الإمام العسكريّ بأنّ الإمام الحجّة عليه السلام: «سَيُعاد إلى السّيّدة نرجس لترضعه في كلّ وقت يحتاج إلى الرّضاعة، لأنّ الرّضاع محرم عليه إلّا من ثديها»[2].

ثانياً: البحث عن المولود

إنّ البحث عن المولود المنتظر[3]: من المشتركات الّتي يشير إليها الامتداد

(١) سورة مريم، الآيات ١٦ – ١٩.

(٢) الطبرسي، الشيخ حسين، النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، ج١، ص١٥٦.

(٣) ينظر: الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المنتظر، ج١، ص٢٧٣ وما قبلها وما بعدها.

مجلة تراث شامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

الاقتباسيّ، فموسى عليه السلام ـ كما مرّ ـ لم ينقذه من الذّبح إلّا ما أوحى به الله لأم موسى، فقد جنّد فرعون الجند الشّديد للبحث عن كلّ مولود ذكر فغيّب الله سبحانه وتعالى هويته وطمسها على فرعون وآله، فبلغ أشدّه وظهرت معالم رسالته، ولمّا يأتمر قوم فرعون على قتله يغيّبه الله مرّة أخرى حتى يبعثه رسولاً، وكان التعبير الرّباني في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[١] فالتّغييب كان بقدر والاستقدام كان بقدر، والبعث كان بقدر، وهذا ما حصل للإمام الحجة عليه السلام فقد ذكر التّاريخ أنّه «حمل سلطان الوقت على حبس جواري الحسن عليه السلام واستبداهن بالاستبراء لهنّ من الحمل ليتأكد نفيه»[٢] واباح دماء شيعته لمجرد ايمانهم بوجوده.[٣] وقد كانت «من أعظم مهام المعتضد عند توليه الخلافة أن يجدد الحملات لمحاولة القبض على المهديّ ومن ثمّ يبادر إلى إرسال ثلاث نفر فيهم آمرهم: «رشيق صاحب مادراي» ويأمرهم أن يخرجوا إلى سامراء مخففين لا يكون معهم قليل ولا كثير... ووصف لهم محلّة وداراً وقال إذا اتيتموه سوف تجدون على بابها خادماً أسود فاكبسوا الدار ومن رأيتم فيه فأتوني برأسه»[٤].

إنّ ولادة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف تروى من طرق عدّة، منها: «عن طريق: إبي جعفر الطبريّ، والفضل بن شاذان، والحسين بن حمدان الحضيني، وعلي بن الحسين المسعوديّ، والشيخ الصدوق، والشيخ الطوسيّ، والشيخ المفيد وغيرهم»[٥] وبذلك تتأكد حقيقة تلك الولادة على الرّغم من أنّ التكتم الشّديد كان هو السياق المعتمد.

المطلب الثالث

قصدية اقتباس الإمام العسكريّ عليه السلام:

إن خلاصة هذا المبحث تؤكد أنّ اقتباس الإمام عليه السلام لا يشير إلى النّصّ المقتبس ودلالته فحسب، وإنّما إلى الامتدادات الموجودة في النّصّ المقتبس منه، وإلى أهداف السورة، ومما يلفت النّظر أنّ اقتباس الإمام عليه السلام كان قوله تعالى:

---

(١) سورة طه، الآية ٤٠.

(٢) الطوسي، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن، كتاب الغيبة، ص٧٤.

(٣) ينظر: الطوسي، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن، كتاب الغيبة ، ص ٧٤.

(٤) الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المنتظر، ج١، ص٤٥٠.

(٥) الطبرسي، الشيخ حسين، النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، ج١، ص١٤٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[١] وهو مراد تكرر في سورة طه ولكن بفارق طفيف، فالنّصّ في سورة طه هو: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[٢] فلو كان مراد الإمام الإخبار بإعادة الطّفل إلى أمّه وأن تقرّ عينها ولا تحزن فقط، لكان بالإمكان أن يقتبس من الآية ٤٠ في سورة طه، وبالإمكان القول: (كي تقر عينها ولا تحزن) وحينئذ سوف لا يشير إلى مكان اقتباس بعينه، ولو حصل ذلك لكان امتداد المراد في السورتين معاً، ولوجدنا أنّ هناك قتلاً خطأً في حياة النبيّ موسى، وعليه إمّا أن تكون نظريّة الامتدادات فرضيّة غير صحيحة، أو أنّ في حياة الإمام عليه السلام قتلاً خطأً أيضاً وهذا ما لا وجود له، لذا قد اقتبس الإمام بعناية فائقة للإشارة إلى النّصّ وامتدادته فذكر الآية بكاملها لتتميز عن الآية في سورة طه وتستقيم امتداداتها، وهناك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ﴾ في سورة الأحزاب، لو اقتبسها الإمام لنسفت نظرية الامتدادات، لأنّ الآية في نساء النبيّ ولا وجه شبه بينها وبين قضية الإمام المهديّ عليه السلام لا من بعيد ولا من قريب، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

(١) سورة القصص، الآية ١٣.

(٢) سورة طه، الآية ٤٠.

المبحث الثالث: الاقتباس الثاني للإمام عليه السلام.

المطلب الأول

تحديد مكان الاقتباس في السورة وخلاصتها ومراميها.

روي عن السّيّدة حكيمة عن الإمام العسكريّ قولها: «فلمّا كان بعد ثلاثة اشتقت إلى ولي الله، فصرت إليهم فبدأت بالحجرة الّتي كانت سوسن فيها، فلم أر أثراً ولا سمعت ذكراً، فكرهت أن أسأل أحداً، فدخلت على أبي محمّد عليه السلام فاستحييت أن أبدأه، فبدأني فقال: «هو يا عمّة في كنف الله وحرزه وستره وغيبه حتى يأذن الله له، فإذا غيّب الله شخصي وتوفاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم، وليكن عندك وعندهم مكتوماً، فإنّ ولي الله يغيّبه الله عن خلقه، ويحجبه عن عباده، فلا يراه أحد حتى يقدم له جبريل عليه السلام فرسه ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾»[٣].

(٣) البحراني، السيد هاشم البحراني، مدينة

مجلة تراث شاهرة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

أولاً: تحديد مكان الاقتباس من القرآن الكريم

لم ترد تلك الجملة المقتبسة في نص الإمام عليه السلام إلّا مرتين وكلاهما وَرَدَ في سورة الأنفال وفي نصّ سياقيّ واحد، قال تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[1] ومن أجل تسليط الأضواء على الامتدادات في هذه السّور نبدأ بمعرفة خلاصة السّورة ومراميها.

ثانياً: خلاصة السورة ومراميها:

يتناول سيد قطب خلاصة سورة الأنفال ومراميها تناولاً عميقاً متنبهاً لأصول المراد تحقيقه، وكان بحثه يسير مع النّصّ القرآني بواقعية نصية تكاد تخلو من المرجعيات الخارجية، ولكن المؤاخذ على ذلك البحث أنّه يشخّص المشكلة من دون الإشارة إلى الحل، وفي هذا البحث حين نجاور الإشكاليات الّتي يعرضها مع الامتدادات التي نلتقطها من اقتباسات الإمام العسكري عليه السلام نلمح الحلّ الأوحد لتلك الإشكالات، إذ يرى أن الظّرف الذي أحاط بالدّعوة النّبوية جعلها تمرّ بمراحل متغيرة، ثم ترسو على أساس متين يمكن أن يقال بأنّه البرنامج الإسلامي الاستراتيجي ـ إذا ما استعملنا مصطلحات عصرنا ـ وتبدأ المتغيرات ببدء الوحي، حيث يبدأ بالدّعوة السّرية، ثم الصدع بما يؤمر، وحين تُبيِّتُ قريش لأسر النّبيّ صلى الله عليه وآله أو قتله أو إخراجه، يأذن الله سبحانه وتعالى بالهجرة، إلى المدينة، وفي المدينة نزلت سورة (الأنفال) في غزوة بدر الكبرى في العام الثاني للهجرة، وقد وثّق بها الله سبحانه وتعالى ما كانت تُبيِّتُ قريش للإيقاع بالرّسول صلى الله عليه وآله حيث يقول: ﴿وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللهُ. وَ اللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾[2] وقد أولى الله سبحانه وتعالى هذه المعركة بأهميّة

المعاجز، ج٨، ص٣١.

(١) سورة الانفال، الآية ٢٤-٤٤.

(٢) سورة الانفال، الآية ٣٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

خاصّة، إذ سمّاها في سورة آل عمران[١] بـ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، وتُعزى تلك الأهمية إلى كون أنّ تسلسل الأوامر الإلهية في قضايا: الأمر بالغزو، والأمر بالكفّ، والأمر بالصّبر، والأمر بالحثّ، كانت متغيرات آنية ينتقل بعدها البرنامج الإسلامي إلى الخطّ الدائم إذ صار أهل الأرض بعد ذلك على ثلاثة أقسام: قسم مسلم مؤمن بالرّسول صلى الله عليه وآله، وقد وصفت السّورة تلك الفئة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢] والقسم الثاني مسالم له آمن، ويمثله قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣] والقسم الثالث: خائف محارب، ويمثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[٤] وأمّا سيرته في المنافقين فإنّه أمر أن يقبل منهم علانيتهم؛ ويكل سرائرهم إلى الله.[٥] ويمثّل ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٦].

إنّ ذلك الضّبط التّشريعيّ للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى هو الأصل العالميّ الذي يدعو إلى التّسالم، ومفاده محاربة الحائل الّذي يحول بين فهم الإسلام والفرد، ومن ثمّ تُترك حرية الاختيار للفرد وبمطلق إرادته، وهذا ما كان يقاتل عليه الإسلام في حياة الرّسول صلى الله عليه وآله، إذ يقاتل على تحطيم القوى السّياسية والماديّة الّتي تحول بين النّاس وبين فهم الإسلام، لأنّها هي الّتي تعبّد النّاس للنّاس،[٧] ويشخص أيضاً قضيّة أساسيّة بقوله: «اما الجهاد فلا علاقة له بحروب النّاس اليوم، ولا ببواعثها، ولا بتكييفها، إنما بواعث الجهاد في الإسلام

(١) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٢٩.

(٢) سورة الانفال، الآية ٢ – ٣.

(٣) سورة الانفال، الآية ٦١.

(٤) سورة الانفال، الآية ٣٦.

(٥) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٣٢.

(٦) سورة الانفال، الآية ٤٩.

(٧) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٣٧.

مجلة تراث شمارة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

نتلمسها في طبيعة «الإسلام» وهو إعلان عام لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من العبوديّة للعباد - ومن العبوديّة لهواه أيضاً، وهذا معناه ثورة شاملة على حاكميّة البشر في كلّ صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها؛ والتّمرد الكامل على كلّ وضع في أرجاء الأرض، الحكم فيه للبشر بصورة من الصّور وهذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب وردّه إلى الله؛ وطرد المغتصبين له؛ الّذين يحكمون النّاس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب؛ ويقوم النّاس منهم مقام العبيد»[١] ثم يستشهد بشاهد نبويّ عن طريق قصّة إسلام عديّ بن حاتم الطائيّ حين دخل على الرّسول صلى الله عليه وآله لإعلان إسلامه فقرأ عليه صلى الله عليه وآله قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ الله» فتساءل عديّ؛ كيف وهم لم يعبدوا أَحبارهم ولا رهبانهم، فقال صلى الله عليه وآله: «بلى! إنّهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلّوا لهم الحرام. فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»»[٢].

فخلاصة ما يريد سيّد قطب قوله هو أنّ خلاصة سورة الأنفال بيان أنّ الحاكميّة لله، وهو من حكم بنشر الإسلام عن طريق برنامج تقسّم النّاس فيه على ثلاثة اقسام: مسلمون ومحاربون، ومهادنون، وأنّ الجهاد الإسلامي يتمثّل بنشر النّظام الرّبانيّ المحض من دون تدخل بشريّ لا بزيادة ولا نقصان، وهذه مهمة الرّسول صلى الله عليه وآله، أمّا المسلمون في عهد الرّسول وإلى قيام السّاعة فتكليفهم الجهاد في سبيل إزالة القوى الطاغوتيّة الّتي تقف حائلاً بين فهم الإسلام والنّاس، وليس لهم لا سلطان تشريع ولا تحليل ولا تحريم ولا إضافة ولا نقصان.

لقد أجاد بتشخيص هذه الخلاصة من سورة الأنفال ولكنّه لم يشخص الحلّ بعد حياة الرّسول صلى الله عليه وآله، ولم يتساءل عمّن له قدرة إيصال الحكم الإلهي كما هو، ومثلما كان الرّسول متصلاً بالوحي الإلهي، وهذا هو النّقص الّذي يشوب دراسته في تقديم خلاصة سورة الأنفال ومراميها.

ومن هنا تبدأ رمزية الامتداد الاقتباسي للإمام العسكري عليه السلام من سورة الأنفال، إذ إنّها لما أشارت بخلاصتها إلى أنّ الحكم والتّشريع لله فحسب، وأنّ

(١) سيد قطب، فى ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٣٣.

(٢) سيد قطب، فى ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٣٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

الرّسول صلى الله عليه وآله هو وحده الموصل لهذا الحكم وهذا التّشريع، وأنّ الرّسول صلى الله عليه وآله ميّت لا محالة وأنّ الموصل بعده صلى الله عليه وآله من يحكم به الله لا من يحكم به البشر، لأنّ التّخلي عن الحكم الإلهي في تشخيص الموصل للحكم الرّباني هو عينه اغتصاب سلطان الله الذي شُخِّصَ من قبله، وهنا إشارة للأوصياء من آل البيت عليهم السلام، حتى نصل إلى الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإنّه لم يكن غائباً عن إيصال الحكم الإلهي، إنّما هو غائب عن الانظار.

المطلب الثاني

الامتدادات النصية للمقتبس. النص الأول:

يبدو أنّ انطباق آيات القرآن الكريم على المناسبة الآنية الّتي نزلت فيها، ثمّ جريها على المناسبات المشابهة لها في المستقبل قضيّة عامّة في القرآن الكريم، ولا سيّما في ما يخصّ الإمام المنتظر عليه السلام، فقد ورد قول عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام أنّ قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١] أنّه «لم يجئ تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد سيرى من يدرك ما يكون من تأويل هذه الآية ليبلغنّ دين محمّد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض»[٢].

سورة الأنفال وهي السّورة الّتي اقتبس منها الإمام العسكريّ عليه السلام وفيها أكثر من شاهد على قضيّة الإمام المنتظر عليه السلام ممّا يعضّد ملاحظة الامتدادات القرآنيّة للاقتباس الإماميّ وإسهامته في بيان مقصد الإمام في كلامه الموشّى بالاقتباس.

يرد الاقتباس في السّياق النّصيّ مرتين، الأوّل في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣] ويرد الثّاني في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ

(١) سورة الانفال، الآية ٣٩.

(٢) الحائري، الشيخ علي، الزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، ج١، ص٦٤.

(٣) سورة الانفال، الآية ٤٢.

مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[1].

ولو عدنا إلى التّفسير لقراءة أجواء النّصّ سنجد أنّ الأجواء أجواء معجزة ربانيّة غير خاضعة للقوانين المعتادة لا في المعادلات الحربيّة ولا في معادلات الدّوافع النّفسيّة الإنسانيّة، إذ تُظهر التّفاسير أنّ تلك الأجواء الحربيّة كانت في الحسابات القتالية كلّها لصالح المشركين فهم الأكثر عدداً والأكثر سيطرة على المناطق القتاليّة، بل في كلّ الموازين الحربيّة؛ من حيث الآلات وإمكانيّة وصول المدد وصلاحيّة الأرض للمشيّ، بينما كانت الأرض الّتي نزل بها المسلمون أرضاً رمليّة تغوص فيها الأرجل،[2]، وكان عددُهم لا يتجاوز ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، معهم فَرَسان وسبعون جملاً، مقابل جيش قريش البالغ ألف رجلٍ معهم مئتا فرس، أي كانوا يشكّلون ثلاثة أضعاف جيش المسلمين، ولذلك عبّر القرآن الكريم عن هذا الظّرف بقوله تعالى: ﴿وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ﴾[3] اي لو تواعد المؤمنون مع عدوهم على المبارزة في ذلك الموضع ثمّ علموا بكثرة عدوهم أمام قلتهم لنقضوا المعياد،[4] فهم أهل خبرة بقواعد الحرب وباعهم فيها طويل،[5] والعقل العسكريّ عادة ما يرجّح الانسحاب والنجاة بالنّفس، على الإبادة وخسران المعركة، ولاسيما أنّ فيهم الرّسول ﷺ وهم يشكّلون الإسلام كلّه، فإن أُبيدوا يُباد الإسلامُ كلّه، ثمّ إنّ القافلة المقصودة قد نجحت بالفرار، فلا مسّوغ للقتال، ولكنّ لقضاء الله أمراً آخراً عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾ ثمّ علّل ذلك القضاء بقوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ فالنتيجة كانت ما وعد به الله فجعل الغلبة للمسلمين، والدّمار على الكافرين، حتى صار ذلك النّصر من أعظم المعجزات وأقوى البينات على صدق وعد الله سبحانه أولاً وصدق محمّد صَلَّى الله عليه وسلّم آخراً، فحصل النّصر والفتح والظّفر، فقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ إشارة إلى أنّ الذين هلكوا إنّما هلكوا بعد مشاهدة

(١) سورة الانفال، الآية ٤٣ -٤٤.

(٢) الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب، ج ١٥، ص٤٨٦.

(٣) سورة الانفال، الآية ٤٢.

(٤) ينظر: الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٢٧.

(٥) ينظر: ابن أبي حاتم، الحافظ عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص١٧٠٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

هذه المعجزة، والمؤمنون الذين بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة، ثم إنّه تعالى ختم الآية بقوله: ﴿وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي يسمع دعاءكم ويعلم حاجتكم وضعفكم فأصلح شأنكم.(١) وأعزّ الدّين وأهله وأذلّ الشّرك وأهله، فظهر قضاؤه بأنّه كائن لا محالة،(٢) ومفعولًا خارج القياسات البشرية المقيّدة بخرافات المادة، فالتلاقي والمواجهة على هذا الوجه ثمّ ظهور المؤمنين على المشركين، لم يكن عن أسباب اعتيادية بل لمشيئة خاصة إلهية ظهرت بها قدرته وبانت بها عنايته الخاصة ونصره وتأييده للمؤمنين، فالتّلاقي لم يكن عن سابق قصد وعزيمة، ولا عن روية ومشورة، فصار خذلان المشركين بينة تدل على حقيقة الحقّ وبطلان الباطل، وبذلك هلك من هلك عن بينة الضّلال، وحيي من حيّ عن بينة الهدى، وإنّ الله إنّما قضى ما قضى وفعل ما فعل لأنّه سميع يسمع دعاءكم ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فالأمر في هذه الواقعة هو القضاء الخاص الإلهي دون الأسباب الاعتيادية.(٣) أما تمام علاقة ذلك بأحوال الإمام المهديّ عليه السلام فهو ما يبينه المبحث الثالث.

المطلب الثّالث

الامتدادات النّصيّة للمقتبس

-النّص الثاني-

قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(٤).

الآيتان متممتان لما سبق، بل هما بيان تفصيليّ للسنّة القضائيّة الرّبانيّة الّتي تتحول إلى ماهيات ملائمة للسّياقات البشريّة، فالله سبحانه وتعالى لا يسلب الإنسان إرادته في الأفعال المكلّف بها، بدليل قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا

(١) ينظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج١٥، ص٤٨٦.

(٢) ينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص٨٣٩.

(٣) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٩٢.

(٤) سورة الانفال، الآيات ٤٣ -٤٤.

مجلة تراث شمارة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

خَاضِعِينَ﴾[١] أي لو شاء الله لأنزل عليهم آية تقسرهم على الإيمان كما هو حال من نتق فوقهم الجبل من بني إسرائيل حيث كانوا منقادين للإيمان خاضعين لتلك الآية،[٢] ولكنّ الإيمان بالإكراه لا قيمة له عند الله سبحانه، إنّما يريد الإيمان عن وعي لكي يكون الخضوع للحقّ بتفكر لا خضوع خوف وإتباع.[٣]

وتأسيساً على ذلك فقد فصّلت السّنة القضائيّة تلك الرّؤيا الّتي أراها الله سبحانه للنبيّ ﷺ بأنّ كفار قريش قليلون، فأخبر بذلك أصحابه، وسرت القوّة في قلوبهم.[٤] ولو أراهم للنبيّ ﷺ كثيرين لتنازعوا في الأمر وفشلوا في النّتيجة، ولكنّ الله سبحانه أظهر لهم عدوهم بالشّكل الّذي تتقوى النّفس وترتفع العزيمة، فقد أكمل سبحانه وتعالى النّصّ بقوله: ﴿وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فليس التّقليل كان في منام الرّسول ﷺ فحسب إنّما في اليقظة وفي أعين جميع المسلمين، وهذه معجزة ثانية لبيان أنّ أمر الله كان مفعولاً ولكن بسواعد المؤمنين ودمائهم وتفانيهم وتضحيتهم وإيمانهم المطلق بقائدهم، فقد ورد في التّفسير: «إنّ القليل الّذي حصل في النّوم تأكد ذلك بحصوله في اليقظة... واعلم أنّه تعالى قلّل عدد المشركين في أعين المؤمنين، وقلّل أيضاً عدد المؤمنين في أعين المشركين والحكمة في التّقليل الأوّل، تصديق رؤيا الرّسول ﷺ، وأيضاً لتقوى قلوبهم وتزداد جراءتهم عليهم، والحكمة في التّقليل الثّاني: أنّ المشركين لمّا استقلّوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتّأهب والحذر، فصار ذلك سبباً لاستيلاء المؤمنين عليهم... ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرّسول صَلَّى الله عليه وسلّم»[٥] وقد وردت الرّواية: «عن ابن مسعود قال: قلت لرجل بجنبي:

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٤

(٢) ينظر: الآلوسي، السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٠، ص٦٠.

(٣) ينظر: الشيرازى، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١١، ص٣٣٩.

(٤) ينظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج١٥، ص٤٨٧.

(٥) الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج١٥، ص٤٨٨

مجلة تراث شمارة ٢٤
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

أتراهم سبعين رجلاً فقال هم قريب من مائة، وقد روي أنّ أبا جهل كان يقول خذوهم بالأيدي أخذاً ولا تقاتلوهم»[١] فهو يراهم قلّة يمكن أخذهم باليد من دون عمل السّيف، والآية تدل على أنّ رؤيا النّبي صلى الله عليه وآله كانت بشارة بالنّصر، إذ لم تقف المعجزة عند عملية التّقليل في أعين الفئتين، إنّما تبع ذلك معجزة أخرى تتمثل بانقلاب صورة المؤمنين في أعين المشركين حال التحام القتال، حيث قال تعالى: ﴿قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَ اللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[٢] فتلك القلّة المسلمة تحوّلت في أعين المشركين حال الالتحام إلى ضعفي عدد المشركين، أي راحوا يقدرون عددهم بألفين من المقاتلين، فالحالة النّفسيّة عملت عملاً معجزاً في تثبيط عزيمة قريش المشركة، وتقوية عزيمة المؤمنين عن طريق ظاهرة التّقليل والتّكثير، وعلّة ذلك كلّه[٣]: ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾.

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص٨٣٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣.

(٣) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٩٤.

المتأمل في تلك المشاهد والمُوازِن مع الرّوايات المتحدثة عن عصر الظّهور يصل بيسر إلى أنّ رمزية هذا الاقتباس إشارة إلى ما سيحصل، أي إنّ الفرق بين الاقتباس الأوّل والثاني أنّ الأوّل يشير إلى الماضي من أجل إثبات القضيّة المهدويّة عن طريق التّشبيه بقضيّة موسى عليه السلام، والاقتباس الثّاني يشير إلى المستقبل عن طريق التّشبيه بقضيّة أهل بدر وظرفها ومحيطها.

التّشابه الظّرفي المستقبلي:

أولاً: التّشابه في الأمكنة:

تخبر الآيات السّابقات الّتي اقتبس منها الإمام العسكريّ عليه السلام: أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله مع أصحابه في أدنى المكان الّذي حضر فيه الجمع، أي جمع النّبي صلى الله عليه وآله وجمع الكفار من قريش، بينما كان كفار قريش في أقصاها، وإذا سرنا مع منهج الامتدادات ورمزيته، تساورنا احتماليّة المشابهة في حضور الإمام المهديّ عليه السلام وأصحابه في أدنى مكان تواجد الجمع: ويكون أعداؤهم في أقصى الأرض، وهنا لا يمكننا الرّكون إلى هذا الاحتمال، إنّما نفترضه افتراضاً، ومن ثَمّ نوازنه مع الأثر الّذي يتحدث عن مكان حضور الإمام عليه السلام، ومكان حضور أعدائه.

يذكر الشّيخ الكوراني الّذي

مجلة تراث شمارة
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

يستند بقوله إلى الأحاديث الواردة عن الرّسول صلى الله عليه وآله وعن الأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد سعى إلى استخلاص النّصوص بأكثر ما يمكنه من وضوح وتسلسل ودقّة لغرض تيسير فهمها على المتلقي[١] إنّ: «الصّورة الّتي ترسمها هذه الاحاديث لوضع العالم في عصر الظّهور وخاصة لوضع منطقة الظّهور، الّتي تشمل اليمن والحجاز وإيران والعراق وبلاد الشّام وفلسطين ومصر والمغرب، صورة شاملة، فيها الكثير من الأحاديث الكبرى والعديد من التفاصيل»[٢] وهذا النّص يحدد لنا مكان الظّهور الّذي تبينه الخارطة الآتية:

إذ تظهر الخارطة أنّ مكان الظّهور يمتد من بلاد فارس إلى نهاية بلاد المغرب، وتبين الخارطة أنّ المياه التي تطل عليها منطقة الظّهور هي: بحر قزوين، والبحر المتوسط، والبحر الأحمر، والمحيط الاطلنطي، فالخارطة تبيّن أنّ أدنى منطقة الظّهور وأقصاها يتردد بين شرق المنطقة وغربها، وبما أنّ الأدنى والأقصى لا يفهم ما لم ينسب إلى شيء، فإنّنا سنستعين بالرّوايات المتحدثة عن هذه المنطقة الأكثر احتمالاً لظهور الإمام المهديّ عليه السلام.

ولو استعان البحث بالرّوايات لتقريب الظّنّ بتحديد الأدنى والأقصى نجدها ترجح أنّ الأدنى هي جهة الشّرق حيث تكثر روايات الظّهور بأنّها في مكّة المكرّمة، إذ يقول الشّيخ الكوراني: «يخرج المهديّ منها (أي من المدينة المنورة) على سنّة موسى: خائفاً يترقب حتى يقدم مكّة، وفي مكّة يواصل المهديّ عليه السلام اتصالاته ببعض أنصاره حتى يبدأ حركته المقدسة من الحرم الشّريف»[٣].

أمّا الأقصى فهو الآخر يحتاج إلى إسناد روائي، ونجد أنّ الرّوايات تشير إلى معارك عدّة يخوضها الإمام المنتظر عليه السلام ولكنّها لا تفضي إلى تحقيق الأهداف المهدويّة كاملة إلّا الحرب الأخيرة التي تكون مع الغرب، تقول دراسة الشيخ الكورانيّ إنّ الإمام المهديّ عليه السلام: « يعلن أنّه سيبقى في مكّة حتى تحدث المعجزة الّتي وعد بها جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وهي الخسف بالجيش الّذي يتوجه إلى مكّة للقضاء على حركته، وبالفعل تقع المعجزة الموعودة بعد فترة قصيرة حيث يتوجه جيش السّفيانيّ إلى

(١) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١١.

(٢) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١١.

(٣) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: السابع
السنة: الرابعة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

مكّة»[١] ثم يذكر الشّيخ الكورانيّ الرّواية الّتي يسند بها كلامه الّتي نصّها: «حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٢] حتّى إذا كانوا في البيداء خسف بهم فيرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم فيصيبهم ما أصابهم، ويلحق بهم من خلفهم لينظر ما فعلوه فيصيبهم ما أصابهم»[٣]

يبدو أنّ رمزية الأدنى والأقصى ترمز إلى الحرب النّهائيّة الفاصلة الّتي تتيح للإمام حكم الأرض وملئها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، حيث تشير الرّوايات إلى فتوحات موقعيّة تمتد من مكّة إلى تمام أرض الحجاز وتلتحق به اليمن وإيران ثمّ العراق بعد معالجة بعض من الخوارج ثمّ دمشق وبعدها إسقاط اليهود في فلسطين وانطاكيا في تركيا.[٤]

يقول الشّيخ الكورانيّ: «يتفاجأ الغرب المسيحيّ بهزيمة اليهود والقوات المساعدة لهم على يد الإمام المهديّ عليه السلام فيستشيط غضباً ويعلن الحرب على الإمام المهديّ والمسلمين ولكنّه يتفاجأ بنزول المسيح عليه السلام من السّماء ويكون نزوله آية للعالم يفرح بها المسلمون والشّعوب المسيحيّة، ويبدو أنّ المسيح عليه السلام هو الّذي يقوم بالوساطة بين المهديّ عليه السلام والغربيين فيتفقون على عقد هدنة سلام مدتها سبع سنوات»[٥] ويؤكد الشّيخ تحليله ذلك برواية أنّ: «بينكم وبين الرّوم أربع هدن تتم الرابعة على رجل من أهل (آل) هرقل تدوم سبع سنين، فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستور بن

(١) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٤.

(٢) سورة سبأ، الآية ٥١.

(٣) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٤- ١٥.

(٤) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٤-١٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١٦.

غيلان: يا رسول الله مَن إمام الناس يومئذ؟ قال: المهديّ من ولدي، ابن أربعين سنة كأنّ وجهه كوكب دريّ في خدّه الأيمن خال، عليه عباءتان قطوانيتان، كأنّه من رجال بني إسرائيل، يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشّرك»[1] ويقول الشّيخ الكورانيّ: إنّ الغرب المسيحيّ يخرق الهدنة بعد أن يرى دخولاً مسيحيّاً كبيراً في الإسلام، فيشنّ هجوماً مباغتاً على منطقة بلاد الشّام وفلسطين بنحو مليون جندي[2] إذ تقول الرّواية: «ثمّ يغدرونكم فيأتونكم تحت ثمانين راية، كلّ راية اثنا عشر ألفاً»[3] لكنّ السّيّد المسيح يعلن موقفه إلى جانب الإمام المهديّ عليه السلام وتدور المعركة وتحصل هزيمة ساحقة على الغرب ويكون النّصر للمؤمنين حتّى أنّ البلدان الغربيّة البعيدة تبدأ بإسقاط حكوماتها ثم تنفتح الأبواب أمام الإمام عليه السلام، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.[4]

تتضح الرّمزية في امتدادات اقتباس الإمام العسكريّ عليه السلام أنّها تشير إلى أنّ المعارك الّتي تحصل ضدّ الإمام كلّها تبدأ بتقويم قاصر لقوّة الإمام وصحبه، فيتجرأ العدوّ على محاربته، وبالمقابل تكون معنويات أصحاب الإمام عالية قادرة على الانتصار على الرّغم من قلتهم قياساً إلى كثرة العدو، إذ لو كانت القياسات على منظار الحروب العاديّة لاختلف المسلمون على خوض تلك الحروب لكنّ الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد: ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾.

ومن هنا يتضح أنّ الاقتباس عند الإمام العسكريّ عليه السلام له امتدادات نفهمها من سياق النّصوص الّتي ورد فيها نصّ الاقتباس.

الخاتمة: خلاصة النّتائج:

١- إنّ القرآن الكريم مفتوح أمام بصيرة الأئمة عليهم السلام، فحين يقتبسون يتوخون الاقتباس من سياق له امتدادات في النّصّ القرآنيّ يوضح المراد من أقوالهم ومقاصدهم في الخطاب الّذي ورد فيه الاقتباس.

٢- أزال الاقتباس الأوّل للإمام العسكري عليه السلام الشبهات الّتي تحيط

(١) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٦.

(٢) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٦.

(٣) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٦.

(٤) ينظر: الكوراني، الشيخ علي، عصر الظهور، ص١٧.

بقضايا روحيّة اكتنفت اختياره لأم الإمام المهديّ عليه السلام زوجاً له، وكذلك الّتي تكتنف ولادة الإمام المهديّ عليه السلام وغيبته وذلك عن طريق الموازنة مع ما أحاط بحياة النّبي موسى عليه السلام من ولادة وتغييب هوية وتغييب شخصيّة، وغير ذلك ممّا يكتشفه الباحث في أوجه الموازنة فتزال الشّبهات لأنّ الأمرين فيهما عناية ربانيّة خاصّة من أجل تحقيق الإرادة الإلهيّة عن طريق سننه الدّنيويّة.

٣- أوضح الاقتباس الثّاني الشّبهات الّتي تحيط بقدرات الإمام المنتظر عليه السلام حين الظّهور ووجه الإشكال الّذي يتمثّل بالفئة القليلة الّتي تتبعه قياساً بمواجهة العالَم إذ لا توازن لقوتهما في المنظار الماديّ، وبناء على تلك الموازنات يكون الإمام عليه السلام خاسراً لا محالة، ولكن لمّا يحيلنا الاقتباس إلى ما حصل في معركة بدر بين الفئة القليلة والفئة الكبيرة ويتبيّن كيف تمّ النّصر للفئة القليلة، وأنّ ذلك كائن لأنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يقضي أمراً كان مفعولاً يُحلّ ذلك الإشكال.

٤- نوصي الباحثين تقصي اقتباسات الأئمة عليهم السلام بصورة عامّة كي نزداد ثقة بفرضية الامتدادات القرآنية في اقتباسات أهل البيت وتتحول إلى نظريّة في المستقبل إن شاء الله.

المصادر والمراجع

١- ابن أبي حاتم، الحافظ عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة، الرياض، ١٩٩٧.

٢- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٣- الأصفهاني، لابي الفرج، مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٤- الآلوسي، السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ضبطه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

٥- البحراني، السيد هاشم، مدينة المعاجز، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١م.

٦- الحائري، الشيخ علي اليزدي، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، مطبعة أمير، إيران، قم، ١٩٨٣.

٧- الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.

٨- سيد قطب، فى ظلال القرآن، دار

الشروق، مصر، القاهرة، ٢٠٠٣.
٩- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧.
١٠- الصدر، السيد محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي، تاريخ الغيبة الصغرى، دار القارئ للطباعة والنشر، بيروت.
١١- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت.
١٢- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.
١٣- الطبرسي، الشيخ حسين النوري، النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق السيد ياسين الموسوي، إيران، قم، ١٤١٥هـ.
١٤- الطوسي (٤٦٠هـ)، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٨.
١٥- الطوسي (٤٦٠هـ)، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، كتاب الغيبة، تقديم أغا بزرك الطهراني، طباعة ونشر مكتبة نينوى، طهران خسرومروي، ١٩٧٠م.
١٦- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام المهدي مطبعة أمير، إيران، قم المقدسة، ١٩٩٦م.
١٧- القزويني، السيد حسين، موسوعة الإمام الجواد، تحقيق أبي القاسم الخزعلي، ط١، ١٤١٩هـ
١٨- الكوراني، الشيخ علي العاملي، عصر الظهور، دار المحجة البيضاء للطباعة، بيروت، ١٤٢٧هـ.
١٩- المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
٢٠- المسعودي، أبي الحسن بن علي (ت٣٤٦هـ)، اثبات الوصية للأمام علي بن أبي طالب، منشورات مكتبة بصيرتي.
٢١- المفيد، الشيخ محمد بن محمد (٤١٣هـ)، الإرشاد، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢م.